اليوبيل الماسى
للكلية الإكليريكية

سلسلة
آباء الكنيسة

القديس يوحنا التبايسى



(الأسيوطى)

من آباء البرية

✝

علم الباترولوچى
سلسلة آباء الكنيسة

القديس يوحنا التبايسى

(الاسيوطى)

JOHN OF THEBAID

ترجمة وإعداد

أنطون فهمى چورج

مقدمة ومدخل

إن الدراسة حول أقوال الآباء : تاريخهم وسيرتهم وفكرهم ، ومصطلحاتهم وأنفاسهم ، هى دراسة ضافية غنية عن سفر جليل جميل ، عن الكنيسة فى العصر الآبائى الأول ، وهى تضيف الى الدراسات اللاهوتية والروحية والكنسية ، بعداً فكرياً ومعرفياً بالغ الأهمية ورفيع المستوى والأصالة ، مستنداً الى تراث الكنيسة الإلهى والى الخبرة الأرثوذكسية الحية ، والى حقيقة التقليد الذى صاغه أعمدة الكنيسة واعلامها .

من أجل بناء القدرة على أن يكون التعليم سليماً ومستقيماً ، يصنع العقلية المعاصرة مبنية على التلمذة الروحية والمعرفة النسكية المدربة بالتداريب المستنيرة التلقائية التى تعد للكنيسة نماذج تعبر عن التقليد الكنسى العام الرصين والمتماسك .

لذلك نحاول من خلال علم الباترولوچى تقديم السيرة الذاتية للآباء كتاريخ للحياة الكنسية بجملتها ، بعيداً عن تلخيص



التاريخ وإختزاله الى "مطلقات مجردة" ، لا كصفحات تراثية ، بل كمناهج موضوعية وأعماق داخلية لمكونات التاريخ الكنسى ، ومن ثم يتسع أفقنا الروحى ويتعمق فهمنا وشركتنا معهم ، ننظر الى نهاية سيرتهم ونتمثل بإيمانهم .

ودراسة الآبائيات مشتملة على جوانب متنوعة لتجليات العقل الآبائى التراثى فى تكوينه وبنيته ، والذى يستلزم تأمل وتلمذة وتفكير مستنير بروح الصلاة ، فعقولهم مضيئة ووجدانهم مستنير وأصواتهم مباركة وألسنتهم حلوة وحناجرهم مسبحة وأذهانهم صافية وسيرتهم شهية فى مسامع الودعاء .

لقد اقتبلوا كلام الإنجيل وعملوا به ، بل تمثلوه حتى صاروا هم أنفسهم كلاماً نارياً ملتهباً كالإنجيل المكتوب ، لذلك يلزم قراءة أقوالهم بفهم ، ليس مجرد مطالعة روحية محببة ، بل طعاماً روحياً وزاداً هو طعام الكلمة الذى يحمل الروح .

فالآباء هم الإنجيل مشروحاً ومعاشاً ، هم الينابيع الروحية الحية التى تغذينا وتحيينا ، نرجع اليها لنسير على الدرب الذى رسمه هؤلاء القديسون ، بعيشهم الإنجيل الى المنتهى ، ونحن

بعدهم وبفضل إرشادهم وخبرتهم نستطيع أن نسلك فى الطريق .

فكما كان الناس يأتون إليهم فى القديم يطلبون "كلمة للمنفعة" ، كذلك نحن ايضاً يجب أن نطلب تلك المنفعة بحسب قصد روح الله القدوس الذى يقود الكنيسة والعامل فى هؤلاء الآباء وفى كل نفس تجاهد لتدرك ما أدركها المسيح لأجله .

سلوكهم هو القداسة أى حب السماويات والسير بخوف الله فمجدوا الله فى أجسادهم ، يقدمون ذبيحة إرادتهم الشخصية وذبيحة الإتضاع وذبيحة الأعمال الصالحة وذبيحة الآلام والأتعاب ، ويسلموننا التعليم الروحى غير المغشوش بروح وحياة اختبروها عبر الأجيال ، غذونا بالإيمان وأرضعونا الحق وسلمونا الصلاة والتسبيح على مذبح الله لننال كل الأشياء .

كلمونا عن جمال المسيح الساطع الذى دعانا من الظلمة الى نوره العجيب ، وفعلوا كل الأشياء بوداعة ولياقة واستقامة ، وتمموا الأعمال الموكولة إليهم بمخافة وبنفوس عاقلة ، معلنين صلاح المسيح فى حياتهم ، مملوئين شبعاً وفرحاً ومعرفة .... لذا يدخلون بنا الى المراعى الخضراء والى الفردوس المشبع والى

جداول المياه المنسابة الكفيلة أن تروى أعماقنا الداخلية .

يقدم لنا علم آباء الكنيسة (الباترولوچى) سير آباء البرية وحياتهم النسكية ، فهم الذين قدموا لله كل ما عندهم فى سلوك إنجيلى ، سالكين الطريق الضيق بالفقر الاختيارى والطاعة والبتولية .

وفى فقرهم باعوا كل ما لهم ليقتنوا اللؤلؤة النادرة الجزيلة الثمن ، شخص المسيح المبارك الذى أغناهم وأشبع احتياجاتهم ، وفى طاعتهم قضوا أيامهم فى شركة مع المسيح فى حياته الفصحية مقدمين حياتهم ذبيحة مذبوحة على مذبحه المقدس الناطق السمائى ، وفى بتوليتهم اقتنوا النبتة السمائية العظيمة الفائقة العجب والمجد ، كجذر للابدية وزهرة وثمرة أولى لها ، وعطية وهبة من الله .

عبروا فوق بحر الشهوات وصولاً للسماء التى اشتاقوا إليها متمثلين بالمسيح ربنا البتول الأعظم ، فصيروا أجسادهم خادمة لأرواحهم ، مجاهدين بلا كلل من اجل معرفة الحق .

إن أغلب آباء البرية الكبار عملوا ولم يكتبوا ، عملوا بأقوالهم

وتكلموا بأعمالهم ، فأخذ السامعون يتقبلون أقوالهم بعطش واجتهاد ، بل وصارت عبارة : «قل لى كلمة كى أخلص» قولاً شائعاً فى أوساط الآباء النساك ببرية مصر .

وهكذا بقيت أقوالهم دُرر حية فى آذان السامعين ، ثم انتقلت من جيل الى جيل ، ومما هو جدير بالذكر ، أن أغلب ما عرفناه عنهم ، كُتب من واقع تلمذة روحية نفيسة واتصال شخصى ، فجاءت أقوالهم فردوس وروضة كبيرة تحوى زهور ما نطقوا وعلموا به .

وتميزت أقوال الآباء النساك بسمات خاصة ؛ أهمها السمة العملية المباشرة والحية ، التى برزت سواء فى الأنظمة الرهبانية أو فى المقالات النسكية ، والسير والأقوال والرسائل الآبائية .

لقد كان أغلب الآباء الذين عاشوا فى الاسقيط ، من القرويين المصريين الاقباط ، البرية مدرستهم النموذجية التى تعلموا فيها سر المسيح ، الأمر الذى جعل مثقفى العالم يأتون إليهم ليتتلمذوا ويتعلموا من أبجديتهم .

وتأتى بعض الأقوال الخاصة بهم مكتوبة بشكل سردى بسيط

غير متقن بهدف منفعة الكثيرين ، إذ أن معظم الآباء النساك لم يتكلموا من منطلق إرادة ذاتية .. لذا يقدم علم الباترولوجى أقوالهم دون أية محاولة للتغيير أو أية صناعة لغوية ، لتأتى أصيلة ومجسمة لوضع حى ومعاش .

ولأن الرهبنة هى هبة مصر العظمى ، لذا حملت كنيستنا القبطية اتجاها نسكياً آخروياً ، ووُصفت حياتهم بأنها فردوس ، إذ أنهم بشر سمائيون وملائكة أرضيون ، ملئوا برية مصر مجداً وبهاء .

ومن بين آباء برية مصر النساك ، كان القديس يوحنا الأسيوطى صاحب هذه السيرة العطرة ، والذى جاءت سيرته فى "التاريخ اللوزياكى" وفى "الهيستوريا موناخورم" إذ أن القديس بالاديوس تلامس معه ونال بركته وتعلم منه الكثير ، وأيضاً الرحالة الذين اتوا ليتشربوا حكمة آباء برية مصر ، إلتقوا به كعلامة من علامات واعلام الرهبنة القبطية فى ذلك الزمان ، إذ كان عامة الشعب يعتبرونه كالانبياء والرسل ويطلبون منه الشفاء بصورة إيمانية فائقة ، لذلك جاءت أخبار سيرته ضمن مشاهير قديسى الرهبنة ، الذين اشتهروا بالنسك والمعرفة وبروح النبوة

والشفاء والارشاد ومقاومة الهرطقة ، وقدم له عظماء العالم الدوقيين ، فكان الامبراطور يرسل له الخطابات ويستشيره ، ويأتى إليه الملوك لنوال البركة .

لقد أدهشت سيرته العالية والعملاقة كل من تمتع بها ، فروتها الأجيال حتى إلى ما وراء حدود مصر بل وإلى أقطار العالم كله .. حتى أننى وجدت أبحاثاً عن حياته بلغات مطبوعة ، الأمر الذى دفعنى دفعاً لترجمة ما كتب عنه فى المصادر النسكية العديدة ، لكى نتعرف على غنى برية مصر وصعيدها الذى تبارك بزيارة العائلة المقدسة له .

أننا نقدم هذه السيرة ضمن سلسلة الإخثوس ΙΧΘΥΣ ، فى العيد المئوى للكلية الإكليريكية لكى ننبه فينا حاسة التقديس لله والتكريس لشخصه الالهى ، تطبيقاً لدعوة القديس بولس : «كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام» (٢كو٥ : ١٥) ، وحتى نتمتع بآيات الإنجيل تعيش ونتكلم فى سيرته وفضائله .

وفى مئوية الكلية الإكليريكية نأتى الى البستان الذى يصف

حياة الرهبان المصريين ، ليشتم الخدام والدارسون وكل من يريد أن يتعلم من حكمتهم وجهادهم وفضيلتهم ومعرفتهم .. ويسرني أن أنسب الفضل لأصحابه فلولا محبة وصلوات ابينا صاحب النيافة الحبر الجليل **الأنبا بنيامين** النائب البابوى لمدينة الإسكندرية ما استطعنا أن نقدم هذه السلسلة الأبائية ،ولولا مساعدة وتدعيم صاحب النيافة **الانبا ديسقوروس** الأسقف العام ما استمر العمل ، ولولا تشجيع الاب الموقر **القمص اثناسيوس ميخائيل** مدرس التاريخ الكنسى بالكلية الاكليريكية ما خرج البحث بهذه الصورة .. ليعوض الرب من له تعب ومشاركة وليستخدم هذا الجهد لزيادة المعرفة والتقوى وتمجيد اسمه القدوس بطلبات القديس يوحنا الأسيوطى ، وصلوات أبينا البابا المعظم **الانبا شنودة الثالث** باعث النهضة الرهبانية ، ولربنا المجد والكرامة الى الابد آمين .



الخماسين المقدسة

١٩٩٣

سيرة القديس يوحنا التبايسى

(الليكوبولى)

وصلتنا سيرة هذا القديس النبى ، خلال مصدرين هما :

"التاريخ اللوزياكى" لبالاديوس ،

"وتاريخ الرهبنة" (الهيستوريا موناخورم) فى مصر ، المنسوب لروفينوس .

وقد كتب كل منهما ما رآه وسمعه عن هذا القديس ، حيث زاره بالاديوس عندما كان عمره نحو سبعين سنة ، وزاره مؤلف المرجع الثانى مع آخرين وهو فى التسعين من عمره .

يُلقب بيوحنا الاسيوطى ، أو التبايسى (الصعيدى) أو المتوحد ، أو يوحنا الرائى .. دلالة على جهة ميلاده وإقامته ، حيث كان متوحداً بجبل أسيوط ، وله موهبة التنبوء التى اشتهر بها ، وكان يُلقب أحياناً بنبى مصر أو يوحنا السائح .

وعندما طُلب من الأنبا قسطنطين أسقف أسيوط أن يشرح سيرته قال : انى أشبه سيرته بالأرملة الفقيرة التى ذكرها لوقا الإنجيلى (٢١ : ١-٤) فإنها ألقت أكثر من الجميع ....

فبعد نياحة والديه رأى أن العالم كالظل ، لابد له من الزوال ، لذا سلم أخته وما يملك إلى عمه ، ثم جاء إلى جبل المغائر حيث دير القديس أنبا مقار بوادى هبيب (برية شيهيت) ، فالبسه الأب إيسيذروس والأب أبامون الاسكيم الملائكى الذى للرهبنة ، وقيل أن ذلك كان عام ٣٣٠ م حيث كان عمره خمسة وعشرون عاماً تقريباً .

ثم ظهر له ملاك الرب قائلاً : «قم إمض إلى جبل أسيوط» فجاء إلى الجبل الغربى لأسيوط حيث عمل ثلاثة مغائر ، وجعل الاولى لحاجات الجسد ، والثانية لعمل اليدين ، والثالثة لجهاده الروحى وصلواته ، فمارس حياة النسك وتدرب على فنون الحياة الروحية .

وتذكر الموسوعة القبطية أنه سُمى بالاسيوطى نسبة إلى اسم مدينة أسيوط فى صعيد مصر ، حيث ولد فى العقد الأول أو

الثانى من القرن الرابع ، وتنيح فى بداية سنة ٣٩٥ م ، وكان ناسكاً ومتوحداً شهيراً وانتشرت شهرته جداً كنبى وصاحب موهبة شفاء حتى خارج الصعيد ، وصلت شهرته قمتها فى سنيه الأخيرة ولم تمنعه حياته كمتوحد وناسك عظيم فى مغارة فى الجبل من الحديث من نافذة مع زائريه الذين كان يستقبلهم يومى السبت والأحد فقط ... وتأتى سيرته من مصدرين إثنين من مشاهير الزوار الذين ذهبوا لرؤيته قبل نياحته بشهور قليلة .

الأول : وهو الذى يتحدث باسم "سبعة أخوة أجانب" قدموا من أورشليم . وهو الكاتب المجهول لـ «الهيستوريا موناخورم *Historia Monachorum in Ægypto* تاريخ الرهبنة فى مصر» ، ويشغل القديس يوحنا أول وأطول فصل (٦٥ فقرة) فى هذا العمل اليونانى الشهير الذى ترجمه روفينوس *Rufinus of Aquileia* الى اللاتينية فى بداية القرن الخامس مع بعض الإضافات .

الثانى : هو بالاديوس *Palladius* الذى من غلاطية والذى سافر لمدة ١٨ يوماً من القلالى حتى وصل إلى يوحنا

الأسيوطى ، وقد صار فيما بعد أسقفاً لمدينة هلينوبوليس *Helenopolis* كما سبق يوحنا وتنبأ له ، وبعد ٢٥ عاماً من هذه الزيارة ، سجل بالاديوس فى الفصل ٣٥ من التاريخ اللوزياكى *Historia Lausiac* مقابلته مع يوحنا ، ويعد هذا الفصل من أطول فصول الكتاب .



التاريخ اللوزياكى

HISTORIA LAUSIAC

تحدث بالاديوس [١] عن القديس يوحنا قائلاً : كان أحد الآباء واسمه يوحنا من ليكوبوليس (أسيوط) قد تعلم فن النجارة والبناء فى صباه ، وكان أبوه صباغاً ، ولما صار له ٢٥ سنة ترك العالم ، وبعد أن عاش فى الأديرة لمدة خمس سنوات سكن منفرداً فى جبل "ليكو" فى الضفة الغربية من النيل عند أسيوط ، وعلى قمة الجبل بنى لنفسه ثلاث قلالى : إحداها لاحتياجاته الجسدية ، والثانية ليعمل ويأكل فيها ، والثالثة خصصها للصلاة ، ثم قضى ٣٠ سنة فى وحدة كاملة حيث كانت تصل إليه ضروريات المعيشة بواسطة تلميذ كان يخدمه وذلك من طاقة فى قلايته ، ثم استحق أن ينال مواهب الروح القدس والنبوة حتى أن كل ما تنبأ به للامبراطور التقى ثيؤدوسيوس تحقق كما هو ، وهكذا ذاعت شهرته كرجل الله النبى .

ثم يقول بالاديوس : عندما كنا فى برية نتريا مع الأب إيفاجريوس ، سألناه عن فضائل القديس يوحنا الأسيوطى ، فقال لنا : «أشتاق أن أعرف شيئاً عن حياة هذا الرجل» ، فلما سمعت أنا ذلك حبست نفسى فى قلايتى فى اليوم التالى كله طالباً إرشاد الله ، وهكذا شعرت بدافع للذهاب الى القديس فى الصعيد ، فسافرت مشياً على الأقدام أحياناً وفى النهر أحياناً أخرى ، وكان وقت فيضان النيل حيث يصاب الكثيرون بالمرض الذى صرت أنا أيضاً فريسة له ، ولما وصلت وجدت الدهليز المؤدى إلى مسكن القديس مغلقاً لأنه لم يكن يفتحه إلا يومى السبت والأحد ، ولما علمت ذلك إنتظرت الى يوم السبت ، ثم ذهبت لمقابلته فى الصباح ووجدته جالساً عند نافذته ليعطى مشورة للذين كانوا هناك فحيانى القديس وكلمنى بواسطة مترجم [٢] وأثناء كلامنا وصل والى تلك المنطقة "اليبسيوس" ، فتحول القديس عنى إليه ، فإنسحبت قليلاً تاركاً لهما الفرصة ، وظلا يتحدثان ، فشعرت بضيق وتذمرت فى داخلى على الشيخ لأنه تركنى وأعطى الإهتمام لغيرى ، وشعرت بالاهانة وقررت أن أغادر المكان ، فدعى مترجمه وقال له : «قل لهذا الأخ : لا تكن قلقاً ، إننى مزمع أن أصرف الوالى وأتكلم معك» فبدا لى أنه

أنه من الأفضل أن أنتظر بصبر وأن أرقبه كأب روحانى .

ولما انصرف الوالى دعانى القديس وقال : «لماذا أنت غاضب على؟ ما الذى وجدته يستحق الملامة حتى تفكر هكذا فيما هو ليس حقيقياً عنى وغير موافق لك ؟ ألا تعلم أنه مكتوب : "لايحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى" (لو ٥ : ٣١) ؟ وإن كنت أنا لا أعطيك مشورة فيوجد أخوة وآباء آخرون ليعطوك مشورة !! اما هذا الوالى فبسبب أعماله الدنيوية قد أسلم للشيطان ، وقد جاء طالباً معونة ، فمن غير المعقول أن نتركه لأنك مهتم بخلاصك» ، فطلبت منه أن يصلى من أجلى بإعتباره رجل الله ، حينئذ قال لى : «أحزان كثيرة تنتظرك وعوائق كثيرة دفعتك إلى ترك البرية فاضطربت وطرحت عنك عزيمتك . إن الشيطان يقترح عليك رغبة فى أن ترى أباك وأن تعلم إخوتك عن الحياة التأملية . ولكن عندى لك أخبار سارة : إن كل منهم قد تحول إلى طريق الخلاص ، وأبوك لا تزال أمامه سنوات فى هذه الحياة ، فثابر أنت على حياة البرية لأنه مكتوب : "ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله" (لو ٩ : ٦٢) » .

فأعانتني هذه الكلمات وشكرت الله على زوال المعوقات من أمامى ، ثم قال لى الاب وهو يبتسم : «أتريد أن تكون أسقفاً»؟ فقلت له : «أريد فعلاً» فقال : «أين» ؟ فقلت : «فى المطبخ على الموائد والأوانى ، فأفحصها كناظر (أو أسقف) عليها وإذا وجدت محتوياتها رديئة أحرمها (أى أضع عليها القانون) وإذا وجدت الطعام يحتاج الى ملح أو توابل أضعها ، هذه هى ايبارشيتى لأن شهوة بطنى عينتنى ابناً لها» !! فقال القديس مبتسماً : «كف عن التلاعب بالألفاظ ، إنك ستُرسم أسقفاً وتقاسى من ضيقات كثيرة ، فاذا كنت حقاً تريد الهروب من الضيقات فلا تترك البرية لأنه لا يوجد فيها أحد له سلطان أن يرسمك أسقفاً» . ثم رحلت من عنده وعدت إلى نتريا وأخبرت الاباء المباركين بكل شىء ، لذلك ذهبوا وقابلوا هذا القديس ، أما أنا فقد نسيت نصيحته ، وبعد ثلاث سنوات أصبت بمرض فى الطحال والمعدة ، فأخذنى الأخوة الى الإسكندرية للعلاج حيث نصحنى الأطباء أن أذهب الى فلسطين لأن مناخها أنسب لطبيعتى الجسمية ، وبعد فلسطين ذهبت الى بيثينية (فى اسيا الصغرى بجوار غلاطية موطنه الأصلى) لاشتياقى إليها ، وهناك سمحت مشيئة الله أنهم اعتبرونى مستحقاً للرسامة بسبب صلتى

السابقة بالأب المبارك يوحنا الذهبى الفم [٣] ، ثم نفيت وحبسونى فى حجرة مظلمة لمدة ١١ شهراً [٤] ، وهناك تذكرت كلام القديس يوحنا حيث قاسيت كل ما أنبأنى به ، كما تذكرت أنه لكى يجعلنى أحتمل معيشة البرية أخبرنى قائلاً : «إننى قضيت ٤٠ سنة فى هذه القلاية لم أعاين فيها وجه إمرأة ولا رأيت نقوداً ، كما أننى لم أنظر انساناً وهو يأكل ولا رآنى أحد آكلاً أو شارباً».



مخطوطات بستان الرهبان

وتقول عنه مخطوطات بستان الرهبان أن أربعة لصوص رأوا كثرة الجموع التى تأتى إليه بسبب موهبتى الشفاء والنبوة اللتين نالهما من الله ، فظنوا أن عنده أموالاً ، ولما نقبوا بالليل باب مغارته أصيبوا جميعاً بالعمى وظلوا هكذا خارج المغارة حتى الصباح ، ثم جاء الناس وأمسكوهم وأرادوا أن يسلموهم للوالى ، فقال لهم القديس : «ستفارقنى موهبة الشفاء» فتركوهم وكانت هذه هى الكلمة الوحيدة التى خرجت من فمه مدة الثلاثين سنة التى توحد فيها ، يعيش فى صمت ، يكتب للآتيين إليه ليعزيهم ويرشدهم .

وتروى عنه السير الرهبانية أنه ذات يوم أخبره الملاك بأن جنوداً من عند الملك سيأتون ليحرقوا المدينة لكثرة شرورها ، وقد وصل الخبر مشايخ البلد فأخبروا القديس بذلك ، فقال لهم : «لا تخافوا يا أبنائى وآمنوا بقول الإنجيل "أن شعرة من رؤوسكم لا تهلك» فلما جاء جنود الملك ومعهم الأمير ، أتى بهم الجمع الى مغارة القديس يوحنا ، فقال للامير : «ليشفى الرب الإله ابنك من كل أمراضه» فأجابه الامير : «كنت اسمع عنك والان رأيتك

وعاينت قداستك وذكر سيرتك التى بلغت أقاصى الارض» .

وعلم الملك بما حدث وهو مرتعد فقال : «ليذكرنى القديس يوحنا فى صلواته وكذلك جميع مملكتى تكون محفوظة بصلواته» واصدر أمره الملكى إلى الجند والامير : «جميع ما يأمركم به القديس يوحنا امتثلوه ولا تخالفوا مشورته لان الرب معه وهو المتكلم على لسانه وبصلواته ننجو من العدو» .

وكان هناك ايضاً إمرأة جليلة الشأن بها وجع ولم يستطع الاطباء شفاءها ، فأتت الى أسيوط ، وذهب الكهنة والاراخنة يسألون القديس من اجلها لانه لم يكن يستقبل النساء فى مغارته ، فأخذ ماء اللقان وزيت القنديل وصلى لها ، فشُفيت ببركة صلواته ومجدت الله الذى يُظهر عجائبه فى قديسيه .

وكانت هذه المرأة من اورشليم ، فأخبرت بفضائل القديس يوحنا وعمل الله معه ، فجاء الآباء الرهبان ليتباركوا منه ويستمعوا لكلمة منفعة ، فقال لهم الاب يوحنا الاسيوطى : «ايها الاحباء انكم اتيتم الىّ من اماكن بعيدة وأنا انسان بائس فتفكروا كل حين فى وصايا الرب» ، وكان عمر القديس فى تلك

الايام تسعين سنة وهو مجتهد فى الصلوات والاصوام والنسك ، حتى أن شعر وجهه قد تساقط من كثرة النسك وجف جسده من الجهاد ، وقد اجرى الرب عجائب كثيرة على يديه .

واشتهر القديس يوحنا بالنبوة ، لذا سُمى بـ "نبى مصر" ، حتى أن قائد رومانى أراد زيارته هو وزوجته لنوال البركة ، ولكن القديس لم يكن يبصر إمرأة فامتنع عن المقابلة ، واخبر القائد أن زوجته ستراه فى حلم ، وبالفعل باركها فى رؤيا خاصة ، لانه لم يكن قد رأى إمرأة طوال الاربعين سنة التى قضاها فى المغارة ، ولم يكن يسمح لرجل ايضاً بدخولها .

وكثيراً ما تنبأ بأمور ستحدث فى المستقبل ، فأعلن للإمبراطور ثيؤدوسيوس أموراً قبل وقوعها ، فمثلاً انباه أنه سينتصر على مكسيموس *Maximus* المتمرد وانبأه ايضاً بانهزام اوجينيوس *Eugenius* ، وانبأه بملاشاة البرابرة الذين اغاروا على الامبراطورية ، وقال له ايضاً انه سيموت موتاً طبيعياً .

وكان يعرف أن يقرأ قلوب الناس ويعرف الامور الخفية الحالية والمستقبلية ويتنبأ بالاحداث الطبيعية مثل فيضان

النيل والحصاد ...

ولما توفى الامبراطور ثيؤدوسيوس وهو على سريره كما تنبأ له القديس يوحنا التبايسى ، حل على الكنيسة ألماً ، أما النساطرة ففرحوا لذلك ، وكان ذلك أوائل حبرية البابا ديسقوروس ، فقد تولى المملكة مرقيان الذى كان الافتراق على يديه ، والذى أرسل الى جميع الاساقفة ليحضروا اليه ، ولما وصل البطريرك ديسقوروس الى القسطنطينية وجد الكثير من الاساقفة ولم يرد الجلوس على كرسى معهم لما بلغه من تجديفهم على وحدانية اللاهوت الذى لا ينقسم ، ووجد حجراً فجلس عليه وقال مع المرتل داود الحجر الذى رذله البناؤن قد صار رأساً للزاوية ، وكانوا يقدمونه عنهم هو وبطريرك رومية .

وقال الملك مرقيان : «اننى اسمع عن قديس بجبل اسيوط يسمى يوحنا السائح فهو يعرف الامر قبل كونه وذلك من تأييد الروح القدس له ، فها أنا ارسل له» فاستدعى غلامين جليلين وارسلهم ، فلما مضوا للقديس قال لهم امضوا وقولوا له ان ثبت على الايمان الارثوذكسى وتمسكت به فان الرب الاله يرزقك عمراً ثلاثين عاماً فى سلام وهدوء ، وإن انحرفت الى رأى الهراطقة

فإن الرب يهلكك قريباً .

وكان هناك جماعة من الهراطقة والاساقفة الذين تركوا الايمان الحقيقى خوفاً من الملك الارضى ، فترصدوا لغلمان الملك وأمسكوهم حين وصولهم من عند القديس يوحنا واستضافوهم وطلبوا منهم رسالة القديس واعطوهم ذهباً كثيراً وقالوا لهم دعوناً نغير هذا الكلام فأطاعوهم وغيروا كما يريدون .. فلما وصلوا للملك استراح وازداد فى تغـيير الايمان وشجع النسطورية ... ولكن فى تمام ستة سنين للملك مرقيان اعتل بمرض فى بطنه وكثر الدود فى امعـائه ولما قارب الموت استدعى الذين ارسلهم للقديس ، لكى يصلى من اجل شفائه ، فأخبروه بصحة الامر .. فعلم السبب الذى من جله صار فى هذه الشدة ، ومات لساعته وسقطت مملكته ، لانه ساق الناس الى ظلمة البعد عن الله بتغيير الامانة الارثوذكسية ، أما الذين باعوا الايمان بالذهب ، فقد صاروا مرذولين اكثر من يهوذا .

تاريخ الرهبنة

(الهيستوريا موناخورم)

كُتب كتاب تاريخ الرهبنة فى مصر المسمى "هستوريا موناخورم" كوصف لرحلة طويلة لبرارى مصر والتى قام بها رحالة يُظن انه روفينوس المؤرخ المشهور وبصحبته سبعة أخوة رفقاء ، وذلك فى شتاء سنة ٣٩٤م ، واصفاً فيها كثيراً من النساك والمتوحدين من اقصى الصعيد حتى اقصى الشمال .

وكان الرحالة فى ضيافة القديس يوحنا الاسيوطى بجبل اسيوط بعد انتصار ثيؤدوسيوس على أوجينيوس مباشرة ، ولم يذكر الرحالة شيئاً عن نشأته قبل أن يلبس اسكيم الرهبنة ، واقاموا لمدة ثلاثة ايام متتالية عند المغارة ، ووصفوه بالفضيلة والقداسة الحقيقية ، وانه يمتلك موهبة الاستبصار والافراز ويخبر بالآتيات ، وانه يحظى بتقدير كبير لدى جميع الشعب ، وأن ما قيل عنه اقل بكثير من فضائله وتقواه ، فكانت الجموع تأتيه لتنال البركة خلال نافذة (طاقة) مغارته .

وفى الوقت الذى انصرفت فيه جماعة الرحالة من عند القديس

يوحنا متوحد اسيوط ، علموا ان الرسالة التى تعلن انتصار ثيؤدوسيوس على الطاغية اوچينيوس *Eugenius* قد وصلت تواً ، وكان ذلك وقت معركة نهر *Frigidus* الهامة فى ٥ - ٦ سبتمبر سنة ٣٩٤م .

وعن هروبه من المجد الباطل يذكر التاريخ أنه رفض قدوم الحاكم وإمرأته اليه ، وقال للحاكم «سأتراءى لها الليلة فى حلم ، وعندئذ لا ترى وجهى بالجسد» ، وفعلاً رأت إمرأته النبى آتياً نحوها ، وقال لها «يا إمرأة ، مالى ولك؟ ولماذا اردت ان ترى وجهى ؟ هل انا نبى ، أو فى مصاف الابرار؟ أنا انسان خاطئ وتحت الآلام مثلك ، ومع ذلك فقد صليت من اجلك ، ومن اجل بيت زوجك ، كى تمضى فى سلام حسب ايمانك» وبهذه الكلمات اختفى عنها .

وعن معجزاته تروى الهيستوريا موناخورم أن زوجة ضابط كانت تنتظر طفلاً ، وبينما كان زوجها الضابط بعيداً عنها يتحدث مع الاب يوحنا الاسيوطى ، ولدت مولودها واشرفت على الموت ، فاعلن القديس ذلك لزوجها قائلاً : «لو كنت تعلم عطية الله" (يو ٤ : ١٠) ، عندما تعود الى بيتك ستجد الطفل

عمره سبعة ايام » ، فسمى الطفل يوحنا وتعلم الخصال المسيحية ، وعندما بلغ سن الشباب ارسله والداه الى الرهبان فى البرية .

ولم يصنع الطوباوى يوحنا بنفسه حالات الشفاء علانية ، ولكن كان يعطى زيتاً للمرضى ، لكى يكون فضل القوة لعمل نعمة الله .. ولكن ما الحاجة الى الكلام عن أى عمل من اعمال هذا القديس اكثر من تلك التى شاهدها الرحالة الذين كانوا بصحبة روفنيوس بعيونهم ، لقد كانوا سبعة اخوة ، جميعهم اجانب صعدوا لرؤيته ، وبعدما رحب بهم ، سألوه أن يصلى لاجلهم ، لان هذه هى عادة الآباء المصريين ، فسألهم عما إذا كان احدهم اكليريكياً (من رجال الاكليروس) ، فأجابوا كلهم بالنفى ، ولكنه علم بالروح أن واحداً منهم عنده رتبة دياكون ، وكان ينكر ذلك تواضعاً وخجلاً منه ولأنه بالمقارنة بمثل هؤلاء القديسين فهو بالكاد يستحق ان يُدعى مسيحياً بدون أية رتبة ، فأشار القديس اليه وقال : «هذا دياكون» ! مع انه لم يعلن انه نال رتبة الدياكونية ، إلا ان القديس انحنى من نافذته واخذ يده وقبلها قائلاً : «لا تزدرى بنعمة الله يا ابنى ، ولا تكذب

بإنكارك لموهبة المسيح ، لان الكذب غريب عنا ولو كان قصده صالحاً لان المخلص يقول إن الكذب : "يأتى من الشرير" (مت٥ : ٣٧ ، يو٨ : ٤٤) » فلما اثبت القديس للاخ انه مخطىء قبل توبيخه اللطيف .

ثم صلوا .. وكان واضحاً أن جسد القديس قد وهن من كثرة النسك .. ودعاهم للجلوس مرحباً بهم كأنهم ابناؤه الاحباء بعد طول غياب ، ثم كلمهم قائلاً وهو مبتسم : «من أين أنتم يا اولادى ؟ ومن أين قطر اتيتم لتزوروا إنساناً مسكيناً ! » فأخبروه عن بلادهم الاصلية ثم قالوا : «لقد اتينا اليك من اورشليم لفائدة نفوسنا ، وذلك لكى نرى بعيوننا ما سمعناه بآذاننا لان ما نسمعه غالباً ما يُنسى فى حين أن ما نراه لا يُمحى من الذاكرة بسهولة بل يظل محفوراً فى اذهاننا مثل الايقونة!» .

فأجاب الطوباوى يوحنا : «وما هو الامر الملفت للنظر الذى تتوقعون أن تجدوه يا ابنائى حتى انكم قطعتم هذه الرحلة الطويلة الشاقة لكى تزوروا اناساً فقراء وبسطاء لا يملكون ما يستحق الرؤية او الاعجاب؟ ان الذين يستحقون الاعجاب هم

رسل وانبياء الله .. وهم الذين يجب أن تتشبهوا بهم . اننى العجب من غيرتكم ، إذ كيف لم تبالوا بمخاطر الطريق لتتعلموا شيئاً منا ، فى حين اننا من كسلنا لا نريد حتى ان نخرج من مغاراتنا !» .

وقد سجل لنا هؤلاء الإخوة المباركون الرحالة الاجانب جانباً كبيراً من احاديث القديس الروحية لهم التى استغرقت نحو ثلاثة ايام ، كما سردوا بعض معجزاته ونبواته التى تحققت بالكامل ، وعندما صرفهم القديس من عنده كانت نبوته عن انتصار الامبراطور التقى ثيؤدوسيوس على الطاغية اوچينيوس ، قد تحققت فى سبتمبر عام ٣٩٤ م ، وهذا يحدد لنا تاريخ رحلة هؤلاء الاخوة السبعة الى مصر الذين كتبوا لنا وصف الرهبنة القبطية ، انه كان فى اواخر عام ٣٩٤ م .

وقد تحققت نبوة القديس عن موت الامبراطور موتاً طبيعياً والذى حدده المؤرخ الكنسى سقراط ، بأنه كان فى ١٦ يناير عام ٣٩٥ م ، وقد تمت كل هذه النبوات بالفعل كما قال رجل الله المغبوط يوحنا الاسيوطى نبى مصر .

ويذكر هؤلاء الاخوة ، أن احد افراد مجموعتهم كان يعاني من الحمى لمدة ثلاثة ايام ، وطلب من القديس ان يشفيه ، فقال له الاب : «ان هذا المرض كان لصالحه ، وقد اتاه بسبب ضعف ايمانه» ، ومع ذلك اعطاه بعض الزيت ، فشفى من الحمى ، ومضى الى القلاية التى كان يقيم فيها مع اخوته الرحالة الضيوف بدون أى مساعدة .

ووصف الاخوة السبعة حياته وتلمذته النسكية العظيمة ، وكيف ان جسده قد بلى من جراء النسك (اسكيس) (٥) ، حتى أن لحيته لم تعد تنمو فى وجهه ، لانه لم يكن يأكل شيئاً يستلزم الطهى ، وكيف كان يعيش فوق صخرة على جبل شديد الانحدار فى مغارة مغلقة كما بمترسة حتى انه لم يدخل احد الى منسكه منذ الاربعين من عمره حتى بلغ التسعين عندما زاروه ، وكيف كان يظهر لزائريه من نافذته فى مواعيد محددة ليقدم لهم كلمة الحياة لتشجيعهم وتعليمهم وخلاصهم . وذلك ما عدا النساء ، وقد سمح ببناء قلاية خارجية للضيوف لكى يرتاح فيها القادمون من سفر بعيد لوقت قصير .

وورد فى «الهيستوريا» وصفاً وصورة مماثلة لواقع ابينا

القديس يوحنا التبايسى وتعليمه الحى ، فنجده يرشد الاخوة السبعة قائلاً لهم : «تأكدوا أن صلواتكم ماضية حسناً ، وأن قادة افهامكم لم تتلطخ ، وان اذهانكم لا تتشتت فى الصلاة والوقوف امام الله ، لئلا يتسلل أى فكر غريب خارجى الى اذهانكم ويصرفها الى شىء آخر ، تأكدوا انكم رذلتم العالم حسب مثل الله ، وانكم لم تأتوا "لتتجسسوا على حريتنا" (غلا ٢ : ٤) ، وانكم لا تتصيدون فضائلنا من اجل المجد الباطل ، لكى تظهروا للاخرين كرجال يعرضون وزناتهم ، كمقلدين لاعمالنا» ، «تأكدوا من أنه لا يزعجكم هوى ما ، ولا مجد ولا كرامة أو مديح بشرى أو تظاهر بفضيلة كهنوتية ومحبة ذات ، او فكر انكم ابرار ، او التفاخر بالبر ... أو حتى تذكر العالم نفسه ككل. وإلا يصبح كل تعبكم بلا هدف» ، «فكل من لا يرذل العالم تماماً وكلية ، بل يجرى وراء اهتماماته ، يعانى من عدم الاستقرار الروحى ، تكون انشغالاته جسدانية أرضية مشتتة ، فلا يرى الله» .

علم القديس هؤلاء الرحالة السبعة اشياء كثيرة عن النسك وانه على الانسان ان ينتظر الموت كأنه سينتقل الى حياة سعيدة

ولا يتطلع الى وهن الجسد ، ولا يملأ بطنه ، لان الانسان الشبعان يكابد نفس التجارب التى يكابدها اولئك الذين يعيشون فى الترف ، ولا يبحث أى امرىء عن راحته وعما يلائمه ، بل ليكن قوياً ويقاسى الاتعاب كى يرث الملكوت مع المسيح الذى وعد انه بضيقات ينبغى ان ندخل ملكوت الله (أع ١٤ : ٢٢) ، وما اضيق الباب واكرب الطريق الذى يؤدى الى الحياة الابدية وقليلون هم الذين يجدونه (مت ٧ : ١٤) .

روى الطوباوى يوحنا امور روحية كثيرة لمدة ثلاثة ايام شافياً النفوس ، وبعد ان اكمل احاديثه معهم اعطاهم البركة وصرفهم بسلام .. فذهبوا لزيارة بعض الآباء الآخرين ، واثناء تواجدهم مع هؤلاء الآباء حضر بعض الاخوة واخبروهم أن القديس يوحنا الطوباوى قد رقد فى الرب بطريقة ملائكية عجيبة ، بعد ان علم بيوم نياحته وطلب عدم السماح لأى أحد بان يزوره لمدة ثلاثة ايام واثناء سجوده للصلاة انتقل الى الرب الذى له المجد ، فى اليوم الحادى والعشرين من شهر هاتور المبارك . ويذكره السنكسار القبطى فى يوم ٥ هاتور .

وتعيد له الكنائس الغربية فى ٢٧ مارس ، ويذكر السنكسار

الاثيوبى سيرته فى ٢١ «خيدار» وهو الشهر الاثيوبى الذى يقابل شهر هاتور القبطى .

الرب ينفعنا بسيرته وإرشاداته وصلواته وبركاته التى حلت بأرض بلادنا الغنية بسحابة من الشهود هذا مقدارها ..

✝✝✝



كتاباته

له مؤلفات وميامر واقوال عديدة ومعظمها وصل الينا فى الترجمة السريانية ، وهى معروفة لدى اليعاقبة والنساطرة من السريان وقد كتبها باللغة اليونانية وتُرجمت بعد ذلك الى السريانية فقد كتب عن الرهبنة ، الآلام ، الكمال ، الفضائل ، اللاهوت ، الصلوات ، وله تعاليم فى صورة رسائل موجهة الى هيسنميس وابولس وتودولس واطرفيس وأوسابيس ومرقياس وليونطيس ، وله ميامر بطريقة السؤال والجواب وميامر اخرى عديدة .

وله ايضاً تفسيرات لبعض آيات من العهد الجديد وقد ورد بعض اقواله فى بستان الرهبان وفى كتاب الآباء الحاذقون فى العبادة ، وله مخطوطة فى مكتبة باريس برقم ٢٣٩ ، تشمل بعض كتاباته .

شهادات الآباء للقديس
يوحنا التبايسى

يشهد القديس يوحنا كاسيان ، الذى جال العالم يطلب الكمال ، فوجده فى الرهبان المتواضعين البسطاء بمصر بيت القداسة ، بعظم فضيلة الطاعة التى للقديس يوحنا الاسيوطى ، لذا اقتنى نعمة النبوة *Prophetic Charisma* وثقة حتى بين ملوك العالم [٦] .

ومن خلال روفينوس ، عرف اغسطينوس الاجابتين النبويتين اللتين اخذهما ثيؤدوسيوس من يوحنا [٧] ، ويؤكد على موهبة تمييز الارواح المعطاة ليوحنا ، ويندم اغسطين لانه لا يستطيع أن يسأل هذا الرجل القديس عن بعض المشاكل ، كما ظهر فى حلم لزوجة احد الحكام [٨] .

ويذكر سوزومين *Sozomen* المؤرخ فى تاريخه الكنسى *Ecclesiastica Historica* معلومات أكثر عن يوحنا ونبوته فى زمان الانتصار المذكور .

وبجانب كاتب الهيستوريا موناخورم وبالاديوس ، كان من زوار يوحنا :

١) زوار لم تُذكر اسماؤهم : مثل الحاكم وآخرين (٩) .

٢) قمص منطقة اسيوط والذى نعرف اسمه فقط وهو اليوبيوس (١٠) .

٣) آخرون من اماكن متنوعة .

أ) يوتروبيوس *Eutropios* رسول ثيؤدوسيوس الى يوحنا قبل معركة نهر *Frigidus* ، وسوزومين هو الذى اخبرنا بذلك (١١) .

ب) ايفاجريوس البنطى * وامونيوس ، وقد اتيا معاً من القلالى فى الغالب بعد شهرين من زيارة بالاديوس ، وهناك وصف لحديثهم مع يوحنا فى ما لا يقل عن اربع صفحات من كتاب ايفاجريوس *Antirrhetikos* (ضد الخطايا الثمانى الرئيسية) (١٢) .

جـ) الاب بيصاريون وتلميذه دولاس *Doulas* (١٣).

* انظر كتابنا «القديس ايفاجريوس البنطى» ضمن هذه السلسلة وستجد فيه عرضاً لكتاب إيڤاجريوس هذا .

د) بومينيا *Poemenia* "خادمة الله" واحدى اقارب الامبراطور ثيؤدوسيوس ، نعرف عنها من اخر فقرة فى وصف بالاديوس وايضاً من سيرة بطرس الايبيرى *Peter the Iberian* (المحفوظة بالسريانية) والتى ذُكر فيها انها بنيت كنيسة الصعود على جبل الزيتون فى أورشليم .

وفى كتاباته عن رهبان مصر يقول يوحنا كاسيان : اول الكل هو يوحنا الذى كان يعيش بالقرب من اسيوط وهى مدينة فى صعيد مصر ، ذاك الذى نال شهرة حتى انه اخذ موهبة التنبوء من اجل طاعته العظيمة فصار مشهوراً فى كل العالم ، حتى انه كان معروفاً عند ملوك العالم كله رغم انه كان يعيش فى صعيد مصر فالامبراطور ثيؤدوسيوس لم يكن يجرؤ أن يعلن حرباً على اقوى اعدائه اذا لم يأخذ اجابة مشجعة من شفتيه وكان يعتبر ان اجابته نازلة من السماء ، وقد حصل على انتصارات كثيرة حتى فى المعارك التى كان ميئوساً منها .

وبجانب كاتب الهيستوريا موناخورم وبالاديوس ، كان من زوار يوحنا :

١) زوار لم تُذكر اسماؤهم : مثل الحاكم وآخرين (٩) .

٢) قمص منطقة اسيوط والذى نعرف اسمه فقط وهو اليوبيوس (١٠) .

٣) آخرون من اماكن متنوعة .

أ) يوتروبيوس *Eutropios* رسول ثيؤدوسيوس الى يوحنا قبل معركة نهر *Frigidus* ، وسوزومين هو الذى اخبرنا بذلك (١١) .

ب) ايفاجريوس البنطى * وامونيوس ، وقد اتيا معاً من القلالى فى الغالب بعد شهرين من زيارة بالاديوس ، وهناك وصف لحديثهم مع يوحنا فى ما لا يقل عن اربع صفحات من كتاب ايفاجريوس *Antirrhetikos* (ضد الخطايا الثمانى الرئيسية) (١٢) .

جـ) الاب بيصاريون وتلميذه دولاس *Doulas* (١٣).

---

* انظر كتابنا «القديس ايفاجريوس البنطى» ضمن هذه السلسلة وستجد فيه عرضاً لكتاب إيڤاجريوس هذا .

د) بومينيا *Poemenia* "خادمة الله" واحدى اقارب الامبراطور ثيؤدوسيوس ، نعرف عنها من اخر فقرة فى وصف بالاديوس وايضاً من سيرة بطرس الايبيرى *Peter the Iberian* (المحفوظة بالسريانية) والتى ذُكر فيها انها بنيت كنيسة الصعود على جبل الزيتون فى أورشليم .

وفى كتاباته عن رهبان مصر يقول يوحنا كاسيان : اول الكل هو يوحنا الذى كان يعيش بالقرب من اسيوط وهى مدينة فى صعيد مصر ، ذاك الذى نال شهرة حتى انه اخذ موهبة التنبوء من اجل طاعته العظيمة فصار مشهوراً فى كل العالم ، حتى انه كان معروفاً عند ملوك العالم كله رغم انه كان يعيش فى صعيد مصر فالامبراطور ثيؤدوسيوس لم يكن يجرؤ أن يعلن حرباً على اقوى اعدائه اذا لم يأخذ اجابة مشجعة من شفتيه وكان يعتبر ان اجابته نازلة من السماء ، وقد حصل على انتصارات كثيرة حتى فى المعارك التى كان ميئوساً منها .

الذى ينشغل بالسمائيات ، يقف غير مشتت فى حضرة الله ، دون أى قلق يسحبه الى الخلف ، يقضى حياته مع الله ، منشغل بالله ويسبحه دون انقطاع بالتسابيح .

الانسان الذى تأهل لمحبة الله ، عنده محبة الناس محبوبة جداً أكثر من حياته ، ولو كان يستطيع ان يساعدهم بموته فأنه يجب ان يبذل حياته عوضاً عن حياتهم لكى بأحزانه يجدون هم راحة .

بماذا تكمل محبة الله فى الانسان ؟ بأن يكون محباً لكل الناس وله الحب الكامل لجميع البشر ! ...

محب الفقراء يكون مثل من له شفيع فى بيت الحاكم ، من يفتح بابه للمعوزين يمسك فى يده مفتاح باب الله ، ومن يقرض الذين يسألونه يكافئه سيد الكل .

الكامل هو الذى يحسب ان كل الناس افضل منه ، وعديم المعرفة هو الذى يرذل رفقاءه بازدراء .

الذين يبغضون الناس ويحتقرونهم ويدينونهم هم الذين لم يشعروا بالغنى المذخر للبشر بالميلاد الثانى ، مثل اناس

يتمتعون بغنى كثير وكرامة وسلطان فى مدينتهم ، وعندما يسافرون الى مدينة اخرى فإن الناس الغير عارفين بعظمتهم وغناهم لا يقدرون ان يكرموهم بحب ، بل يتشامخون عليهم ويحتقرونهم ، اما العارفون بعظمة سلطانهم فانهم لا يستطيعون ان يتعظموا عليهم بل يكرمونهم بمحبة عظيمة . ولذلك يبغض الناس بعضهم البعض لانهم لم يحسوا بالمجد العظيم الذى لهم لدى نعمة الله ، اما الذى يحس بكرامة البشر لدى الله فإنه يتضع لجميع البشر لانه لا ينظر الى حالتهم المسكينة التى فى هذا العالم بل ينظر الى عظمة مجدهم هناك .. وبهذا الفكر السامى لا يقدر انسان أن يظن فى نفسه انه افضل منهم لانه يعرف انهم سيكونون هناك بأفكار غير مختلجة بالخطية .

لو كنتم تحسون بالرجاء المزمع لكنتم تعتقون من جميع الآلام المرذولة ولامتلأت نفوسكم بمحبة الناس . مثل اناس يعيشون فى قرية متعبين من الفقر والمسكنة وارسل اليهم الملك وعداً فاضلاً بأنه سُرّ أن يدخلهم الى بلاطه بمجد وكرامة ، فالذين احسوا بهذا الوعد لا يقدرون أن يبغضوا اولئك المساكين بل يعاملونهم بكل اتضاع ومحبة .... الكلام الهادىء يبطل الغضب ، والهروب من

الغضب هو بلد السلام ... الصوم بالنسبة للشهوات كالماء بالنسبة للنار .

الهادىء المتعقل فى أعماله كمن يصوب نحو الهدف فى النور .

لا ترغب ان تقيم هواك وتحقق رغباتك فى كل شىء لئلا يبغضك الناس ، وانشراح الوجه افضل من تقطيب الغضب .

كما ان السكون لا يصلح لمحبى العالم هكذا الكلام الكثير لا يصلح لمحبى الله .

الغنى الذى يشحذ هو فقير ، والفقير ألذى يقتنع بما عنده هو غنى ! .

كما أن لكل مرض من امراض الجسد ادوية معروفة بعلم الطب ولا تُشفى كلها بدواء واحد ، هكذا ايضاً كل ألم للنفس له افكار حكيمة تغلبه ..

رأيت انساناً حاذقاً فى الفلسفة الروحانية قال ان الذى يطرد من نفسه ألماً واحداً ردياً أخيّر عندى من الذى يخرج عساكر

الشياطين من المجانين ، لان الله لا يدينه على الذى به شياطين لكنه يدينه على الآلام الرديئة الساكنة فيه ! ..

صوم الجسد هو البعد عن المأكولات أما الصوم الروحانى فهو أن يجوع الانسان ويعطش للبر ...

خدمة الجسد هى تكميل شهواته ، اما الخدمة الروحانية فهى تسبيح الله فى عمق العقل :

القربان هو ما يقدم من اشياء خارجية ، أما القربان الروحانى فهو تقديم افكار طاهرة تقترن بذكر الله .

المذبح كان فى العهد القديم يُقدم عليه ذبائح دموية ، اما المذبح الروحانى فهو العقل المرتفع عن تذكارات العالم .

البيعة المنظورة هى جماعة الناس ، والبيعة الروحانية هى الايمان والتنعم بالاسرار الالهية .

الكهنوت الروحى هو ما يقدمه الضمير لله من افكار طاهرة وطلبات نقية .

الفكر الفاضل هو الذى لا يعيش فى الشرور .

القرب لله هو الطاعة لوصاياه .

الصبر على التعليم هو كنز رابح .

البتولية الحقيقية هى نفس لم تتزوج بمحبة الجسد .

التواضع هو سلوك منظم مع جواب هادىء .

الصلاة الروحانية هى طلبة الامور الغير مرئية .

تبكيت الصديق يلد الحب ، وتبكيت المبغض يلد العداوة .

بالكلمة يتكلم العقل مع الناس ، وبالكلمة (الابن) تكلم الآب مع العالم .

الدخول الى العالم هو الاهتمام به ، والخروج منه هو معرفة الله ، والنفس النقية هى مسكن الله .

وإن كنت احفظ نفسى من جميع الخطايا فى الوحدة والسكون ، فهذا لا يستوجب المديح ، مثل السفينة التى فى الميناء بعيدة عن الرياح العاصفة ، كذلك الذى فى الوحدة إن كان ينجى نفسه من العيوب ، فيكفيه أن يخلص من قصاص الدينونة ..

يحفظ الناس الوصايا لاجل المكافأة ، لكن يجب أن نحفظها لاجل طاعة الله ، ولا يستطيع أحد ان يكمل ذلك الا بكمال الحب... ولا تستطيع النفس ان تقتنى حب الله إلا بكمال حفظ

الوصايا .

جمال النفس هو الضمير السليم والذهن الطاهر والمعرفة النيرة والعقل الراجح .

بنقاء الضمير وطهر الافكار يستطيع الانسان ان يدرك ما بداخله من غنى ويرى ما فى انسانه الحقيقى من جمال .

اعلم يا اخى ان معلمنا الحقيقى هو المسيح والذين يطلبونه فى ذواتهم يظهر لهم داخل نفوسهم .

السلام الجسدانى هو ان يراضى الانسان ويصالح من اغضبه ، والسلام النفسانى (الروحى) هو ان يكون الانسان فى نفسه كاملاً بكل القلب ويصالح بغير غش ببساطة السلام .

الانسان الحقيقى هو الذى بالحكمة يتصور فى نفسه تدبير محبة الله وحقيقة ربنا يسوع المسيح ، ويلتصق به فيصير معه روحاً واحداً ويدوم معه ، هذا هو الانسان الجديد الذى خلع الانسان العتيق ولبس صورة المسيح (المحبة) .

لا تعمل مع سيد الكل من اجل موهبة يعطيها لك لئلا يجدك

محباً لمقتنياته وبعيداً عن حب شخصه ! .

الامور التى تقتنيها النفس ضد جوهرها هى الحسد ، الغيرة البغضة ، العداوة ... وهى مرتبطة بلذاتها مع الجسد ، وبسبب محبتها تتحرك فى النفس تلك الآلام .

النفس التى التهبت بحب الله لا يمكن لربوات الوف ان تردها عن التسبيح الدائم لله ، مثل الثوب المصبوغ جيداً لا يمكن لامواج البحر ان تفصل بينه وبين صباغته .

✝ ✝ ✝



صلاة للقديس يوحنا الاسيوطى المتوحد

يا لعظم محبتك يا سيد الكل ، كيف تشعل النفس التى احسّت بك .. وكل من اهلته لرؤياك ارتفع اليك بحياته حتى صار وكأنه ليس فى هذا العالم إلا بالجسد فحسب .

اشفق يارب على النفس التى اشتعلت بحبك لانها مسكن السلام ، فلا تترك اثراً للخطية فى مكان سكناك بل احرقها بنار حبك ! .

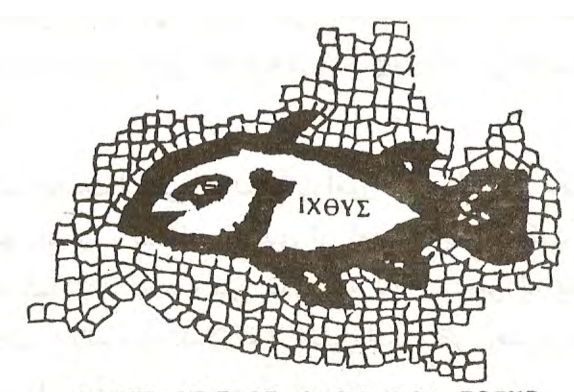
لقد اعددت لنا فى العالم الآتى اموراً لم تخطر على فكر ولم يطلبها لسان ، نسألك ياسيدى ان تعطينا اياها فيكون لكل واحد كما أعد له ، وعلى قدر حبه لك تستعلن له بمنظرك العجيب ، لانه حتى للملائكة لا تعلن ذاتك بمنظر واحد بل حسب مقدار كل رتبة .

لك التمجيد والتسبيح لانك تتنازل الى مقدار كل رتبة ولكل واحد حسبما يستطيع ان ينظرك ، اما فى العالم الجديد فهو ليس

يتبعك فقط بل يكون معك ويراك فى الملكوت الابدى يارب ..
اهلنا لنقاوة القلب حسب ارادتك .

نشكرك ونسجد لمجدك فى العالم

الذى خلقته لاجلنا آمين .



IHΣOYΣ XPIΣTOΣ ΘHOY YIOΣ ΣΩTHP

المراجع والملاحظات

1) Lausiac History, ch. 35 .

٢) رغم ان بالاديوس كان يعرف اللهجة القبطية (اللهجة البحيرية) إلا ان اللهجة الصعيدية لم تكن مألوفة لديه ، لذلك احتاج الى مترجم .

٣) كان بالاديوس قد عاش فترة طويلة مع هذا القديس وشارك فى الكثير من مهامه ، ولذلك يعوّل عليه كثيراً كمؤرخ لسيرته وقد تمت رسامته اسقفاً على «هلينوبوليس» .

٤) ذكر بالاديوس فى مقدمة كتابه هذا انه نُفى وهو اسقف الى اسوان لانـه من اتباع القديس ذهبى الفم الذى اُضطهد كثيراً ، وصار هناك تحت حراسة احدى القبائل الاثيوبية .

٥) اسكيسٌ تعنى فى المفردات الابائية : الجهاد والجندية لتحرير النفس من الاهواء بالتدريب النسكى بالصوم والصلاة ووسائط النعمة ، كصراع يعقوب مع الله .

6)Institutiones Coenobiticae 4. 23 and Collationes 24, 26.

7) De Civitate Dei 5 . 26 .

8) De Cura Gerenda Pro Mortius 17 , 21 .

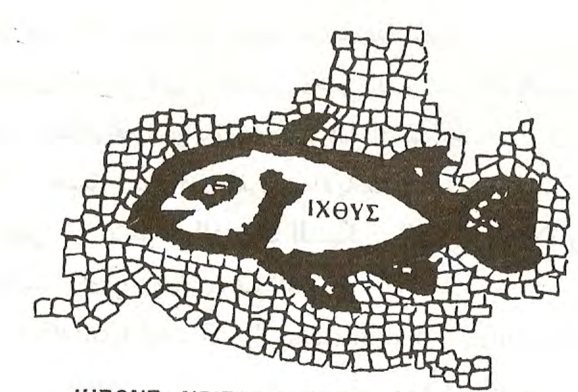
9) Historia Monachorum in Ægypto 102, 4 - 9, 10, 12.

10) Historia Lausiaca .5 - 6.

11) Historica Ecclesiastica 7.22,7.

12) 2 . 36 ; 5.6; 6.16 ; 7 .19.

13) Apophthegmata 159, Bessarion 4.



ΙΗΣΟΥΣ ΧΡΙΣΤΟΣ ΘΗΟΥ ΥΙΟΣ ΣΩΤΗΡ

المصادر

1) The Historia Monachorum in Ægypto, ch. I.

2) Palladius : The Paradise of The Holy Fathers, tr. by E. A. Wallis Budge .

3)The Coptic Encyclopedia, under "John of Lycopolis".

٤) مخطوطة رقم ١٨٥ نسكيات ـ مكتبة دير السريان .

٥) مخطوطة رقم ١٨٩ نسكيات ـ مكتبة دير السريان .

٦) مخطوطة س ٩ بمكتبة دير انبا مقار ، رقم ١ .

٧) الآباء الحاذقون فى العبادة ـ دير السريان .

٨) مخطوطة رقم ٢٦ ف ٥ ـ مكتبة دير البراموس .

٩) بستان الرهبان .

١٠) القديس يوحنا التبايسى ـ القمص سمعان السريانى .

١١) تاريخ الكنيسة القبطية ـ القس منسى يوحنا .

الفهرس

صدر من هذه السلسلة

ΙΧΘΥΣ

١ – الكنيسة فى فكر الآباء .

٢ – الاستشهاد فى فكر الآباء .

٣ – اللاهوت فى فكر الآباء .

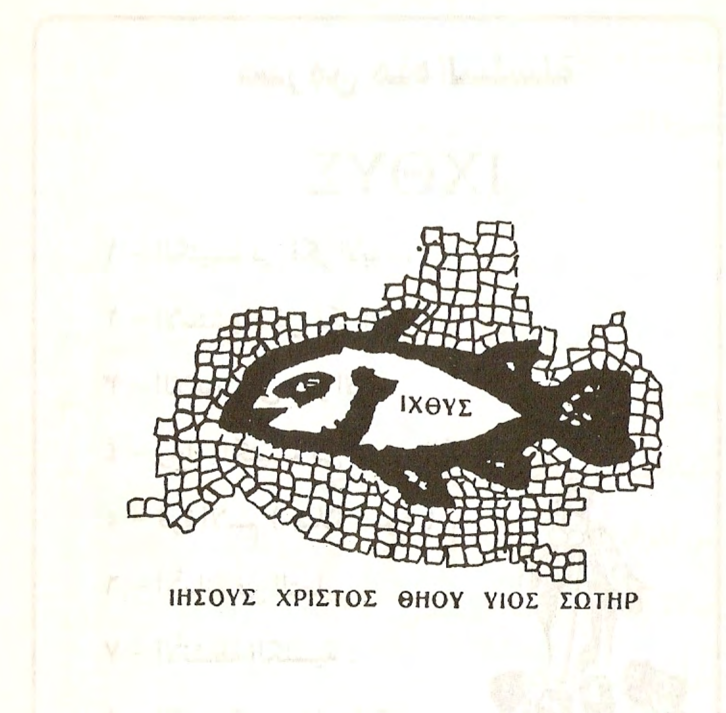
٤ – رحلة الكنيسة فى الصوم الكبير .

٥ – قوة الاسم (صلاة يسوع) .

٦ – الأمانة فى التعليم .

٧ – الأنشطة الكنسية .

٨ – القديسة مريم المجدلية .


ΙΧΘΥΣ
ΙΗΣΟΥΣ ΧΡΙΣΤΟΣ ΘΗΟΥ ΥΙΟΣ ΣΩΤΗΡ